دور العرب والمسلمين وإسهاماتهم في الخط العربي

محمد جاويد☆

Abstract

Though the Arabs of pre-Islamic period knew the art of writing yet the strong tradition of reading and writing got impetus with the start of Islamic era. Writing has been the major source of preservation and transfer of knowledge through out history. The Arabs tended towards writing for Islam encourages its followers to learn this sacred art. It is why they excelled in this field and introduced many a new kinds of writing which resulted into refining and flourishing of Arabic script. This article sheds lights on the services of the Arab Muslims rendered in the field of writing.

كان العرب يعرفون القراءة والكتابة قبل الإسلام. ولكن ازداد ميلانهم إلى القراءة والكتابة بظهور الإسلام. وأول وحي نزل على النبي ﷺ بدأ بأمر القرءة. والوحي كله عن القراءة والعلم والقلم وعن كيفية خلق الإنسان. ونبي الإسلام ﷺ أيضاً حث متبعيه على القرأءة والكتابة. وبعض من أصحابه كانوا يعرفون الكتابة من قبل والبعض منهم تعلموا فيما بعد. وأمر أصحابه بكتابة ما أنزل إليه من الوحي. ونظراً إلى فضيلة الكتابة وشرفها وتأكيد النبي ﷺ لها، مال العرب إلى الكتابة ويوجد في الروايات المختلفة أن أكثر من أربعين صحابياً كانوا يكتبون الوحي.

☆ باحث الدكتوراه في اللغة العربية، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

ولاشک في أن العرب من شعوب العالم القديمة وتاريخهم قديم جداً ولكن ما وصل إلينا من خبر حضارتهم وتاريخهم من قبل ظهور الإسلام إلا قليلاً.

وربما يعود سبب ذلک إلى أن العرب ما كانوا قبل الإسلام تحت نظم سياسي واحد حيث كانوا يعيشون عيش البداوة.

ومما وصلت إلينا من أخبار مشاغل العرب وحرفهم، أنهم قوم شجعان ذووحمية كبيرة وكان الشعر في طبيعتهم. وما كانوا متحدين على أمر بل كان أمرهم متفرقاً وكانوا يقضون الحياة القبلية، والقبيلة يرأسها أميرها والقبائل كانت متحاربة دائماً وغيرها من المعلومات الغير واضحة.

وكانت القراءة والكتابة محدودة لدى رهبان وزعماء الديانات المختلفة أما الجمهور فلا رغبة لهم في القراءة والكتابة إلا قليلاً. وخطوط العرب القديمة مثل الخط المسند والخط اللحياني والخط الثمودي والخط الصفوي والخط الأرامي والخط التدمري والخط النبطي وغيرها من الخطوط كانت مستخدمة في منطقة خاصة، وأهل مناطق هذه الخطوط ماكانوا يعرفونها إلا قليلاً.

وأيا من كان مخترع الخط ومهما يكن مولده، فالحقيقة أنه تقدم الخط وخاصة الخط العربي عند ما ظهر الإسلام وصار الحجاز مركز الحضارة والتمدن والعلوم الإسلامية والفنون الأخرى ومنها الخط العربي.

ونقش أم الجمال والحيران وغيرها من الأماكن يشهد بأن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام ولكن تقدم الخط والكتابة وميلان الناس إلى الخط وتحسينه من آثار الإسلام.

عند ما نزل الوحي برزت قضية كتابته و تحمل الأصحاب الكبار الذين يعرفون الكتابة مسؤولية كتابة الوحي على أكتافهم والآخرون الذين ماكانوا يعرفونه تعلموه. وبظهور الإسلام صارت الحجاز مركز العمليات كلها وصارت

مهد الحضارة والثقافة والفنون.

وفيما يلي نلاحظ بحث عن تطور الخط العربي في العرب ودور العرب والمسلمين في تطويره في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تطور الخط العربي في العرب

المبحث الثاني: أئمة الخط العربي

المبحث الثالث: أنواع الخط العربي

المبحث الأول: تطور الخط العربي

ماكان العرب يعرفون الكتابة في الجاهلية إلا قليلاً وإن كان النبيﷺ أمياًولكنه اعتنى بالكتابة غاية الاعتناء منذ بعثته.وتوجه أتباعه إلى الكتابة والقراءةبعد ما حثهم النبي ﷺ على هذا العمل الشريف. ويشير القرآن الكريم إلى الكتابة وأهميتها. وتوجد آيات كثيرة فيها ذكر الكتابة ومايتعلق بها كما في قوله عزوجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه' وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه اللّه فليكتب﴾(١)

وقوله تعالى:

﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ إني ألقى إليّ كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم اللّه الرحمٰن الرحيم ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿وماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينک إذا لارتاب المبطلون﴾(٣)

وكذلک قوله:

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾(٤)

وقوله تعالى:

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (٥)

وقال الله عزوجل يُقسم بالقلم:

﴿ن، والقلم ومايسطرون﴾ (٦)

فهذه الآيات القرآنية كلها تدل على أهمية الكتابة وفضلها وكذلك تحث على تعلم الكتابة وتعليمها.

والقرآن المجيد نفسه يذكر معرفة العرب بالكتابة قبل الإسلام كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله :

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾(٧)

ففي هذه الآية إشارة إلى أن بعض أحبار الجاهلية وسادتها كانوا يعرفون أحوال الأمم السالفة وأخبارها. وكانوا يكتبون تلك الأساطير ويملونها في جلساتهم. فالنصر بن الحارث يقول:

"والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها".(٨)

ويقول الله عزوجل:

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس﴾(٩)

فتدل هذه الآية أن العرب في الجاهلية أو رهبانهم كانت لديهم النصوص من التوراة المكتوبة في الصحف والقراطيس.

وكذلك حثّ النبي ﷺ المسلمين على تعلم الكتابة حيث قال ﷺ:

"قيدوا العلم بالكتابة"(١٠)

ويقول ﷺ: "ماحق امرئ له يوصى فيه بيت ثلاثة إلا وصيته عنده مكتوب"(١١)

وكذلك قول النبي ﷺ للرجل الذي شكا إليه سوء حفظه:

"استعن بيمينك"(١٢)

وإضافة إلى ذلك فقد شجّع الرسول ﷺ على تعليم القراءة والكتابة حيث جعل فداء من كان يعرف القراءة من أسارى بدر تعليم عشرة صبيان للمسلمين.

ويذكر البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" أنه لما ظهر الإسلام كان سبعة عشر رجلا في قريش يكتبون وهم:

"عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان
وأبوعبيدة بن الجراح وطلحة ويزيد بن أبي سفيان وأبو حذيفة
بن عتبة بن ربيعة وحاطب بن عمرو العامري وأخوه سهيل
وأبوسلمة بن عبدالأسد المخزومي وإبان بن سعيد وأخوه خالد
وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري وحويطب بن عبدالعزى
وأبوسفيان بن حرب بن أمية ومعاوية بن أبي سفيان وجهيم بن
الصلت بن مخرمة بن عبدالمطلب بن عبدمناف والعلاء بن
الخضرمي"(١٣)

وما كان الرجال من العرب يعرفون الكتابة بل النساء كنّ يعرفنها أيضاً وذكر البلاذري أسماءهن وذكر منها:

"الشفاء بنت عبدالله العدوية وحفصة بنت عمر بن الخطاب
تعلمت الكتابة من شفاء العدوية وأم كلثوم بنت عقبة وعائشة
بنت سعد وكريمة بنت المقداد"(١٤)

وفي الحقيقة بدأت حركة الكتابة في العرب بمعناها الأصلي والعام مع بدء الوحي وبدأت مرحلة جديدة جديرة بأن تسمى بالعهد الذهبي للكتابة حيث

ازدادت خصوبتها وازدهارها ازدياداً لانظير لها في سالف الزمان كله.

وأخذت الكتابة العربية تنتشر بانتشار اللغة العربية ووصلت إلى ما وصل المسلمون من البلدان والقارات وصارت الكتابة فناً يستبقون فيه حتى اختار الخط العربي صورة فن مستقل وحل محل الشرف والعزة حتى بدأ خلفاء المسلمين وملوكهم يعلّمونه ويشرفون هذا الفن الشريف. وقصة كسب الإمبرا طور أورنغزيب عالمكير بكتابة المصحف الشريف مشهورة جداً.

المبحث الثاني: أئمة الخط العربي

كان المحرك الأول لميل العرب إلى الخط ضرورة دينية. وتعلم المسلمون الخط في الفور نظراً إلى فضيلته وأهميته إضافة إلى تحريض النبي ﷺ على تعلمه، اللغة العربية فصيحة وبليغة جداً. والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين. وكانت ولا تزال لغة العرب الشعبية. وحتى الآن ماكانت قواعد اللغة العربية مرتبة. كان من الامكان أن يخطئ الأجيال القادمة المسلمة في تلاوة القرآن الكريم. وعلى تحريض علي ابن طالب ؓ، كما رُوي، قام أبوالأسود الدؤلي ينحو القواعد للغة العربية. ومن بعد توجه الناس إلى بنية الكلمة وبنية اللفظ وفيما بعد تقدمت هذه العلوم وصارت علماً مستقلاً واشتهرت بنية الكلمة بعلم النحو وبنية اللفظ بعلم الصرف. ومازالت رغبة العرب والمسلمين فيها حتى برزت مدارس هذه العلوم وهكذا توجه العرب والمسلمون إلى علوم اللغة وظهرت مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة في اللغة. وصنف امهات الكتب في هذه العلوم واشتهر أئمة النحو وأئمة الصرف في العالم وحلوا محل الشرف والعزة.

وكذلك كان أمر الخط. واستخدمت ابتكارات جديدة في الخط. وبدأ كتابة الحرف واللفظ على قواعد الرياضيات والهندسة والخط الذي كان مجموع

بعض الخطوط للمذكرات حتى صارفناً جميلاً.

ومنع الإسلام من التصوير وصناعة الأصنام أدى دوراً هاماً في ترويج الخط وازدهاره لدى المسلمين. والخط الآن برز كفنٍ مستقلٍ. والكتب العربية مملوءة بذكر أصحاب الخط الذين كرسوا حياتهم لتطوير الخط وتجويده وإسهاماتهم في تحسين الخط. ويجدر بأن يسمى أصحاب الخط هؤلاء أئمة الخط. وفيما يلي نذكرهم بالاختصار ولكن على حدة.

(آ) آئمة الخط في العصر الأموي

تقدم الخط في عصر النبي وفي عصور خلفاء الراشدين المهديين وكثير من العرب المسلمين كانوا يستطيعون القرآءة والكتابة بسهولة حتى برع بعض منهم في الخط. وأشهر الخطاطين في العصر الاموي هم:

الحسن البصري

ولد الحسن البصري بالمدينة المنورة سنة ٢١هـ وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ وهو أول من برز في خط السماء كنجم ساطع والبعض يرى أنه استخرج الخط النسخي وخط الثلث من الخط الكوفي وهذ بهما وإضافة إلى ذلك كان فقيهاً مشهوراً وقاضياً وراوية أخبار.(١٥)

مالك بن دينار

كان مالك بن دينار عالماً وزاهداً كثيرا لعبادة وكان شهيراً منقطعا لكتابة المصحف ويضرب المثل بحسنه في الخط وتوفي سنة ١٢٣٠هـ (١٦)

خالد بن أبي الهياج

كان كاتب وليد بن عبدالملك، يكتب للوليد المصاحف وأشعار العرب وأخبارهم والمعروف أنه هو الذي كتب بماء الذهب على محراب مسجد النبيﷺ بالمدينة المنورة سورة الشمس والسور الأخرى من آخر القرآن الكريم

كـما ذكر صاحب "الكتابة العربية" ولكن اندثرت تلك الكتابة(١٧)، وشهد ابن النديم أنه رأى نفسه مصحفاً بخط يده.(١٨)

قطبة المحرر

كـان قـطبة الـمـحـرر يـعيش في عهد الوليد ويكتب له المصاحف وأخبار الـعـرب. والـمـعـروف أنـه واضـع أربـعة أقـلام هـي: الثـلـث والثلثين والطورمـار والجليل(١٩) وكـان فـريداً في حسن الخط في زمانه. ويقال عنه أكتب الناس على الأرض في العربية. (٢٠) وهـو الـذي فتـح باب الاستنباط والاختراع للخطاطين. وتوفي هذا الكاتب العظيم سنة ١٥٤هـ.

شعيب بن حمزة الكاتب

وكـان كـاتـب الـخـليـفة هشـام بـن عبـدالملك ويعرف بناقة خطه. ومـازالـت كتـابـاتـه حتـى الـقرن الثالث الهجري، وكان الإمام أحمد بن حنبل معترفاً لحسن خطه. والمشهور عنه أنه استمر كاتبا حتى العصر العباسي وتوفي عام ١٦٢هـ.(٢١)

ويـوجد كثير من الكتاب والخطاط في العصر الأموي ولكن اكتفينا بذكر الأشهر منهم.

(ب) أئمة الخط في العصر العباسي

بـلـغت الحضارة الإسلامية في العصر العباسي إلى قمتها وصار هذا العصر بإشـراف الـخـلـفـاء الـعـبـاسيين على الفنون المختلفة وفيهما الخط وحبهم للعلم والـمـعـرفة، عـصراً ذا أهمية كبيرة والجدير بأن يسمى هذا العصر "العصر الذهبي في تاريخ الإسلام ، وفيما يلي نذكر أئمة الخط في العصر العباسي.

الضحاك بن عجلان

اشتهـر هـذا الـخـطـاط فـي خلافة السفاح (وهو عبدالله بن محمد) وكان شامياً ومجيد خط "الجليل" وكان يجيد عدة أقلام وصار قائد رحلة الخط.

إبراهيم السجزي

كان إبراهيم السجزي منقطع الخط في القرن الثالث الهجري. وأخذ إبراهيم عن إسحاق بن حماد قلمه الجليل وابتكر فيه ابتكاراً و اخترع منه خطين جديدين خط الثلث وخط الثلثين.(٢٢)

يوسف السجزي

وكان تلميذ إسحاق بن حماد وهو أخ الخطاط الكبير إبراهيم السجزي واختراع قلم دقيق منسوب إليه وبهذا القلم كان يكتب كتابة جميلة. والمشهور فيه أنه الفضل بن سهل ذي الرئاستين وزير المأمون كان يكتب الرسائل السلطانية وسماه القلم "الرئاسي" (٢٣).

الأحول المحرر

أخذ الأحول المحرر الخط عن إبراهيم السجزي، وبرع في خط الثلث وخط الثلثين. وأضاف إليها قلماً سماه "النصف" و قلماً آخر أي خفيف الثلث. وكذلك اخترع الأقلام الأخرى مثل قلم "المسلسل" وقلم "غبار الحلبة" وقلم "المؤامرات" وقلم "القصص" وقلم "الحوائجي". وكان شهيراً بإتقانه في علم الخط.

محمد بن معدان

كان محمد بن معدان معاصراً للأحول المحرر، والمنافسات بينهما في الخط مشهورة جدًا. وكان محمد بن معدان المعروف باسم "وجه النعجة" مقدماً في قلم "النصف" وقلم "الجيل".(٢٤)

أحمد بن محمد حفص

وهو أيضا معاصر الأحول. وهو من أجود الكتاب في خط الثلث. والمعروف فيه أن ابن الزيات في عهد ابن طولون وزير المستعصم بالله كان معجباً بخط ابن حفص في الثلث، ولا يكتب بين يديه إلا هو. (٢٥)

(ج) أعمدة الخط

وقد طلع في سماء الخط النجوم الثلاثة الساطعة تستنير سماء الخط بنورهم في العصر العباسي إضافة إلى الخطاطين المذكورين أعلاه. و هم الذين بذلوا جهداً عظيماً وابتكروا في الخط ابتكارات واخترعوا وسبقوا في هذا الفن. ولايزال علم الخط مديناً لهم ولخدماتهم الجليلة. والجدير بأن نسمي هؤلاء الأصحاب الثلاث أعمدة الخط واساطينه. وفيما يلي نذكرهم بالتفصيل.

١- أبوعلي محمد بن علي بن الحسن ابن مقلة

يقول عنه صاحب "روح الخط العربي" ملخصاً ما ورد في دائرة المعارف لفؤا د أفرام البستاني عن ولادة ابن مقلة وأحواله الشخصية:

"هو أبوعلي محمد بن علي بن الحسن بن عبدالله بن مقلة كاتب، أديب، خطاط، وزير. ولد ببغداد سنة ٢٧٢هـ(٨٨٩م) مال إلى الأدب واللغة خاصة واهتم بتجويد خطه حتى عرف بذلك، وانخرط يافعاً في سلك الموظفين إلى أن صارت إليه الوزارة. وقد تولّاها ثلاث مرات كان آخرها أيام الراضي الذي اعتقله في حجرة من دار الخلافة حيث قطع الوزير ابن رائق يده واحتفظ به في محبسه فأخذ ينوح على يده ويقول: خدمت بها الخلفاء وكتبت القرآن الكريم دفعتين، تقطع يدي كما تقطع أيدي اللصوص ثم أنشد:

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعضٍ قريب(٢٦)

ويذكر عنه إمام الخط في عصرنا السيد نفيس الحسيني(٢٧) قائلاً:

"أشهر خطاط في العالم الإسلامي هو ابن مقلة البيضاوي الشيرازى الأصل، ولد في الحادي والعشرين من شهر شوال

سنة ٢٧٢هـ ببغداد. وتخرج فيها. وكان جامع العلوم والفنون. وكان مثلاً في علم الفقه وعلم التفسير وعلم التجويد والأداب والإنشاء وحسن الخط. وتقدم الخط به تقدماً عظيماً واخترع الأقلام الستة وهي: الثلث والنسخ والتوقيع والرقاع والمحقق والريحان". (٢٨)

ويقول ناجي زين الدين المصرف في جودته واختراعاته في الخط :

"انتهت جودة الخط في رأس الثلثمائة إلى الوزير ابن مقلة ببغداد، وقد ترك لنا آثار هندسة الرائعة في أصول الحروف المفردة ، وبها أخذ الخط نصيبه الأول من الهندسة والضبط والوزن. وقدر مقياس الحروف بحرف الألف والدائرة التي تركها لنا في رسالته. ومما ذكر في المصادر من الأطراء الذي يفوق الحد، ماجاء في رسالة محمد العوفي الأبهري في الخط، قوله: "إن أول من بلغ بالثلث والنسخ هذا المبلغ من الكمال هو ابن مقلة" وقد دلتنا بعض الأوراق التي وصلت إلينا ممن ترسم خطه و نقله عنه، على صدق رأي الأولين فيه، فلقد بلغت حروفه حد الإعجاز بالنسبة لكتابات البرديات، بل لقد فاقت حتى كتابة ابن البواب الذي لم يكن بعد ابن مقلة من يكتب مثله. (٢٩)

وكان ابن مقلة تلميذ الأحول المحرر والأحول أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها و أبعادها بالنقط كما قال ابن خلكان و ضبطها ضبطاً محكماً. (٣٠)

رغم كونه عملا قاً في الخط قتل هذا الخطاط العظيم كما ورد في "روح الخط العربي":

"وتوالت المصائب على ابن مقلة فقطع لسانه بعد قطع يده ثم

قتل سنة ٣٢٨هـ عن ستة وخمسين عاماً ودفن في دار الخلافة، وقد نبش بناءً بطلب أهله وسلّم إليهم فدفنوه، ثم طلبته زوجته فنبشوه ودفن في دارها وإنه لمن عجائب الصدف أن يتقلد ابن مقلة الوزارة ثلاث مرات، ويدفن بعد موته ثلاث مرات". (٣١)

٢- علي بن هلال المعروف بابن البواب

عرّفه ناجي زين المصرف بالإحالة إلى كتاب "الخطاط البغدادي علي بن هلال" للدكتور أ.سهيل أنور، ترجمة محمد بهجة وعزيز سامي:

" أبوالحسن علي بن هلال خطاط بغدادي مشهور عرف بابن البواب لأن أباه كان بواب دار القضاء في بغداد. وقد أخذ الخط في حداثته عن محمد بن أسد ثم عن محمد السمساني تلميذي ابن مقلة، وقد اهتم ابن البواب بجمع خطوط ابن مقلة في النسخ والثلث ونقحها وعلابها إلى مرتقى رفيع من الكمال فاستقام بفضله أسلوب ابن مقلة وخلد اسمه. (٣٢)

ونشأ ابن البواب محباً للخط العربي. وأبدع في وضع الحروف وأبعادها وكان يعمل خازن الكتب لبهاء الدولة ابن عضد في شيراز.

ويقول صاحب الرسالة "كتابة الحروف والأرقام العربية" فيه:

"ومن أعظم أعمال ابن البواب وسبب شهرته أنه أكمل أسلوب الكتابة الذي بدأ من قبله الوزير ابن مقلة بقرن من الزمان. فقد وضع المقومات الفنية التي كان "الخط المنسوب" لابن مقلة يفتقر إليها. وكان هذا الخطاط فناناً بالفطرة. وله حس مرهف يبدو ذلك جلياً في انتظام وحركة الأقواس العظيمة التي ابتكرها وأدخلها على الخط "منسوب" لدرجة أن بعض الكتاب

اعتبره صاحب هذا الخط دون ابن مقلة لكثرة ما أدخله عليه من تعديلات وتحسينات".(٣٣)

وأما ولادته فلم تذكر المصادر بالتحديد تاريخ ولادة ابن البواب، وإنما ذكرت أنه ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. وقد توفي سنة ١٠٣٢م. ودفن بجوار الإمام أحمد بن حنبل. ورثاه بعض العلماء بهذين البيتين.

استشعر الكتّابُ فقدك سالفا وقضت بصحة ذلك الأيام
ولذاك سوّدت الدوي كآبة أسفا عليك وشقت الأقلام(٣٤)

٣. ياقوت المستعصمي

هو أبو الدر جمال الدين ياقوت المستعصمي الرومي، اشتراه المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين.(٣٥)

وقال فيه كامل بابا:

"وياتي في الشجرة بعد ابن مقلة وابن البواب، الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصمي الطواشي البغدادي، وكان خازناً بدار الكتب المستنصرية. وكان أديباً شاعراً وقد بلغ في الخط الجودة والإتقان وفاق ابن مقلة وابن البواب. ويرى المتأمل في خطوطه أنها بلغت من الكمال والحسن حدًا جعلت منه رائداً لمن جاء بعده من الخطاطين، فساروا على نهجه وطريقته. وكانت كتابته في الثلث والنسخ الأساس الذي جرى عليه كبار الخطاطين العثمانيين أمثال حمد الله الأماسي والحافظ عثمان ومصطفى راقم، ولذلك أسموه "قبلة الكتاب"(٣٦)

ومثل أساتذته كان المستعصمي أديباً شهيراً وشاعراً كبيراً كما أشار إليه

صاحب "رحلة الخط العربي، من المسند- إلى الحديث":

"لم يكن ياقوت خطاطاً فحسب، ولكنه كان أديباً وشاعراً وحكيماً، لقد برع في نظم الشعر فكان شاعراً، وأورد الأدباء وأصحاب الموسوعات الأدبية قصائد كثيرة له، منها هذه القصيدة في الوعظ والاعتبار:

أتعتقدون أن الملك يبقى ... وأن العيش في الدنيا يدوم
ولا يجري الزوال لكم ببال ... كأن الموت ليس له هجوم
فهبكم نلتم ما نال كسرى ... وقيصر والتابعة القروم
ومتعتم بذلك عمر نوح ... وحفتكم بأسعدها النجوم
أليس مصير ذاك إلى زوال ... لعمر أبي لقد هفت الحلوم(٣٧)

وتوفي هذا النجم الساطع للخط في بغداد سنة ٦٩٨هـ. (٣٨)

المبحث الثالث: أنواع الخط العربي

اهتم المسلمون بالخط اهتماماً بالغاً. وقاموا بتحسينه وأحسنوه وأجملوه واخترعوا أقلاماً جديدة ومتنوعة. ونظراً إلى ضرورات مختلفة استخدموا الأقلام المختلفة وغيروها وأعطوها أشكالاً جديدة حتى صارت هذه الأقلام أنواعاً مستقلة للخط العربي وأشهرها فيما يلي:

الخط الكوفي

ويعتبر الخط الكوفي من أقدم الخطوط، وهو مشتق من الخط النبطي وقد اشتقه أهل الحيرة والأنبار عن أهل العراق وسمي فيما بعد بـ "الخط الكوفي" حيث انتشر منها إلى سائر أنحاء الوطن العربي، ولأن الكوفة قد تبنته ورعته في البدءِ وقد كتبت به المصاحف خمسة قرون حتى القرن الخامس الهجري، حين نافسته الخطوط الأخرى كالثلث والنسخ وغيرها. (٣٩)

وهـذا الـخـط يتـميّـز بـظهـور أحـرفه في كلمات على صورة الأغصان أو الـزحـارف الهـنـدسية أو الـنبـاتية وكـذلـك تتـفـرع زخـارفه إلى النجوم والدوائر والمثلثات والمكعبات.

والأقلام المتفرعة من الخط الكوفي هي:

١ـ الكوفي البسيط
٢ـ الكوفي الهندسي
٣ـ الكوفي المتلاصق
٤ـ الكوفي المورق
٥ـ الكوفي الزخرفي
٦ـ الكوفي المصغر
٧ـ الكوفي المزهر
٨ـ الكوفي المخملي
٩ـ الكوفي الأندلسي
١٠ـ الكوفي الفاطمي
١١ـ الكوفي الأيوبي
١٢ـ الكوفي المملوكي وغيرها من الأنواع التي تنفرع من الخط الكوفي.

خط النسخ

وهـذا الـخـط يعتبر من الخطوط العربية الأصيلة وهو معروف أيضاً بالخط الـحجازي في الجاهلية. وأيدت آراء المؤرخين أن النسخ مشتق من الخط الكوفي ويسـمـى بهـذا الاسـم لأن الـقـرآن الكريم كتب فيه ومازال يكتب في هذا الخط. ورُوي أن أول مـن استـخدم خط النسخ هو علي بن أبي طالب رضى الله عنه، ونقله الـحسـن البـصري عن أهل القرن الأول الهجري، والبعض يرى: أن الوزير بن مقلة وأخاه أبا عبدالله أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفة.(٤٠)

وتستعمل الصحف والمجلات هذا الخط في مطبوعاتها، فهو خط الكتب الـمـطبوعة اليوم في جميع البلاد العربية. وقد طوّر المحدثون خط النسخ للمطابع والآلات الـكـاتبة ولأجهـزة التـنـضـد الـضوئي فـــي الكمبيوتـــر وسموه "الخط الصحفي" لـكتابة الصحف اليـومية به.(٤١)

خط الثلث

إن خـط الثلـث ليـعتبر من أجمل الخطوط العربية وأصعبها كتابة كما أنه أصـل الـخـطـوط العربية والميزان الذي يوزن به إبدا ع الخطاط ... وقد تطور خط الثـلـث عبـر التـاريخ عما كان عليه في الأصل الأموي (الطومار) فابتكر من "الخط الـمـحـقـق" و "الـخط الريحاني" خطاط بغداد ابن البواب. ويعتبر ابن مقلة واضع قواعد هذا الخط. (٤٢)

ونـظـراً لأن هـذا الخط يمثل بدايات الخط العربي فهو غير مستعمل الآن عـنـد الـخـطـاطيـن وتـكـاد تكون نماذجه معدومة، وما بقي منه في عصرنا هو خط الثلث الذي اشتق منه الثلث الخفي والثلث الجلي. (٤٣)

الخط الفارسي

يـعـود تـاريـخ الخط الفارسي إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، وكان الفرس يكتبون قبل الإسلام بالخط البهلوي. (٤٤)

وبـعـد دخـول الاسلام حلت الكتابة العربية محل الحروف البهلوية وزيد فـي حـروفها ثلاثة حروف مأخوذة من (ب، ز، ح) بزيادة ثلاث نقط على كل حرف لتصبح (پ، ژ، چ) ولتقابل ثلاث أصوات ليست موجودة في اللغة العربية. (٤٥)

والخطوط المتفرعة من الخط الفارسي هي:

١ـ خط الشكستة ٢ـ الفارسي المتناظر ٣ـ الفارسي المختزل

ومـازال خـطـاطـوا الـفـرس والأتـراك يـدخـلـون عـلى هذا الخط من التحسينات حتى أصبح كما هو الآن في غاية من الحسن والجمال والبهاء. (٤٦)

الخط الديواني

يسـمـى هذا الخط "الخط الهمايوني" كما يسمى "الخط الغزلاني" نسبة إلـى الـخـطاط المصري غزلان. لقد ابتكره الخطاطون الأتراك في عهد السلطان

محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ.

ويعتبر الخط الديواني من الخطوط الجميلة، ولذلك اختاره الخطاطون في دواوين الملوك والخلفاء والرؤساء في المراسلات الداخلية والخارجية كما استخدمه الخطاطون للبطاقات الشخصية والمستندات والشهادات والمعاهدات ولوحات التحف الفنية والنحاسية وغيرها.(٤٧)

والأقلام المتفرعة من هذا الخط هي:

١ـ الديواني المترابط ٢ـ الديواني الجليي

٣ـ الديواني الجلي المحبوك ٤ـ الديواني الجلي الهمايوني

٥ـ الديواني الجلي الزورقي

خط الرقعة

هو خط الناس الاعتيادي في كتاباتهم اليومية، وهو أصل الخطوط العربية وأسهلها، يمتاز بجماله واستقامته وسهولة قراءته وكتابته وبعده عن التعقيد، ويعتمد على النقطة فهي تكتب أو ترسم بالقلم بشكل معروف. وخط الرقعة من الخطوط المتأخرة من حيث وضع قواعده (٤٨)

خط الطغراء

الطغرى أو الطرة كلمتان معناهما العلامة والطغرائي هو صانعها أو كاتبها(٤٩)

وهو خط ولوحةجميلة بشكل إبريق قهوة أو نحوه كان خاصاً بالسلاطين، ثم كتبه الخطاطون لغيرهم ويكتب عادة بخط الثلث أو خط الإجازة. وقد انقرض هذا الخط بزوال الدولة العثمانية، لكن الخطاطين مازالوا يكتبون البسملة من باب حفظ الأثر ويعدونه من بدائع الخط العربي.(٥٠)

خط الإجازة

يعتبر الإجازة المزيج من خط النسخ والثلث وقدسمي بخط الإجازة

لتجوز الخطاط في الجمع بينهما وكان العلماء يكتبون به الإجازات العلمية. وقد حسّنه الخطاط مير على سلطان التبريزي. وكان الخطاطون ومازالوا يكتبون به. إجازتهم لتلاميذهم، أسوة بالقدماء.(٥١)

خط التاج

وهو نفسه خط النسخ إلا أن الخطاطين طوّروه وهذا التطور كان بإيعاز من الملك المصري فؤاد الأول سنة ١٩٢٧م للخطاط محمد محفوظ حيث جعل هذا الخطاط الحرف الأول من السطر تاجاً وفيما بعد انتشر بين الخطاطين كنوع من أنواع الخطوط المتطورة.(٥٢)

الخط المغربي

ويعتبر الخط المغربي من الخطوط المحلية في المغرب. وقد حل هذا الخط محل الخط الكوفي وهذا الخط يحمل أسماء أخرى كالخط القرطبي والخط الأندلسي إلا أن شهرته بالخط المغربي أعم.(٥٣)

☆☆☆☆☆

الهوامش

(١) البقرة: ٢٨٢

(٢) النمل: ٢٨-٣٢

(٣) العنكبوت: ٤٨

(٤) الأعراف: ١٤٥

(٥) الأنبياء: ١٠٥

(٦) القلم: ١

(٧) الفرقان: ٥

(٨) الحلوجي: المخطوط العربي، ص ٤٩

(٩) سورة الأنعام: ٩١

(١٠) سنن الدارمي: حديث ٤٩٧

(١١) الصحيح للمسلم: كتاب الوصية' رقم الحديث ٣٧٥

(١٢) السنن للترمذي: رقم الحديث ٢٥٩

(١٣) البلاذري: فتوح البلدان' ص ٤٧٧

(١٤) نفس المرجع، ص ٤٧٨

(١٥) الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب، ص ٢٤

(١٦) ابن النديم: الفهرست ، ص٦

(١٧) شعبان عبدالعزيز خليفة: الكتابة العربية، ص ١٨٣

(١٨) ابن النديم: الفهرست، ص ٦

(١٩) الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب، ص ٢٤

(٢٠) ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، ص ٣٤

(٢١) صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٨٢

(٢٢) إبراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية، ص ٤٦

(٢٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ص ١٢

(٢٤) ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، ص ٣٥

(٢٥) شعبان عبدالعزيز خليفة: الكتابة العربية، ص ١٨٦

(٢٦) كامل بابا: روح الخط العربي، ص ٨٢

(٢٧) وهو السيد أنور حسين زيدي نفيس رقم المعروف بـ نفيس الحسيني، ولد ١١ مارس عام ١٩٣٣م بقرية غوريالة، مقاطعة سيالكوت (بنجاب) ولما بلغ سن الرشد كانت أسرته مركز فن الخط حيث يوجد ثلاثة مهرة في الخط وهم الحكيم السيد محمد عالم والحكيم السيد نيک عالم والسيد محمد أشرف علي المقلب به "سيد القلم" والناس يفدون إلى هذه الأسرة لأخذ الفن الشريف. وقال عنه

الأستاذ الدكتور زاهد منير عامر، الأستاذ المشارك بالقسم الأردي بجامعة بنجاب والأستاذ الزائر بجامعة الأزهر الشريف حالاً: وهو شهير كنابغة الخط في عصرنا في العالم الإسلامي. وقد أعطى خط الأردو "النستعليق" شكلاً جديداً وجميلاً ولا مثيل له في عصره في النستعليق والنسخ، (مجلة الحسن، جامعة أشرقية لاهور، يناير ٢٠٠٩م، ص ٦٩٥)

(٢٨) سيد نفيس الحسيني، مقالات خطاطي، ص ٥٢

(٢٩) ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، ص ٣٥

(٣٠) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٩٨

(٣١) ناجي زين الدين المصرف: روح الخط العربي، ص ٨٢

(٣٢) كامل بابا: روح الخط العربي، ص ٨٩

(٣٣) عبدالستار محمد فيض: كتابة الحروف والأرقام العربية، ص ٢٧١

(٣٤) كامل بابا: روح الخط العربي، ص ٩٠

(٣٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٧٧١

(٣٦) كامل بابا: روح الخط العربي، ص ٩٣

(٣٧) أحمد شوحان: رحلة الخط العربي، ص ١١٠

(٣٨) كامل بابا: روح الخط العربي، ص ٩٣

(٣٩) أحمد شوحان: رحلة الخط العربي، ص ٤٩

(٤٠) أحمد رضا: رسالة الخط العربي، ص ٧١- ٧٢

(٤١) أحمد شوحان رحلة الخط العربي، ص ٥٣

(٤٢) نفس المرجع، ص ٥٣- ٥٤

(٤٣) عبدالستار محمد فيض: كتابة الحروف والأرقام العربية، ص ٣٦٠

(٤٤) أحمد شوحان: رحلة الخط العربي، ص ٥٦

(٤٥) شعبان عبدالعزيز خليفة: الكتابة العربية، ص ٢١٥

(٤٦) عبدالستار، محمد فيض: كتابة الحروف والأرقام العربية، ص ٣٦١

(٤٧) أحمد شوحان: رحلة الخط العربي، ص ٥٩

(٤٨) نفس المرجع، ص ٥٢

(٤٩) الكردي: الخط العربي، ص ١٤١

(٥٠) أحمد شوحان: رحلة العربي، ص ٦١

(٥١) نفس المرجع، ص ٥٨

(٥٢) نفس المرجع، ص ٦٣

(٥٣) نفس المرجع

المصار والمراجع

(١) القرآن

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي: فتوح البلدان. الطبعة الأولى، القاهرة: شركة بيع الكتب العربية (١٩٠١م)

(٣) أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق النديم: كتاب الفهرست. كراتشي: كارخانه تجارت كتب خانه (بدون التاريخ)

(٤) ناجي، زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي. وزارة الاعلام مديرة الثقافة العامة (١٩٧٢م)

(٥) المنجد، صلاح الدين (الدكتور): الدراسات في تاريخ الخط العربي. بيروت: دارالكتب الجديد (١٩٧٩م)

(٦) القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي بن أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء. الجزء الأول، القاهرة: المطبعة الأميرية (١٩١٣م)

(٧) كامل بابا: روح الخط العربي. الطبعة الأولى، بيروت: دارالعلم للملايين (١٩٨٣م)

(٨) محمد راشد شيخ: مقالات خطاطي. لاهور: ناشران خاوران (٢٠٠٦م)

(٩) ابن خلكان، أبوالعباس أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان. الطبعة

الأولى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية (١٩٤٨م)

(١٠) عبدالستار محمد فيض: أصل وتطور كتابه الحروف والأرقام العربية (رسالة دكتوراه) جامعة بنجاب، لاهور

(١١) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله: كشف الظنون. بيروت: دارالكتب (١٩٩٣م)

(١٢) أحمد شوحان: رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب (٢٠٠١م)

(١٣) الكردي، محمد طاهر بن عبدالقادر: تاريخ الخط العربي وآدابه. مكة: مكتبة الهلال (١٣٥٨هـ)

(١٤) الجهشياري، أبوعبدالله محمد بن عبدوس: كتاب الوزراء والكتاب. الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي، مصر (١٩٣٧م)

(١٥) الحلوجي، عبدالستار: المخطوط العربي. الدارالعصرية اللبنانية (١٩٨٨م)

(١٦) شعبان، عبدالعزيز خليفة: الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء. العربي للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٩م)

(١٧) أحمد رضا، رسالة الخط العربي. دار الرائد العربي بيروت، لبنان (١٩٨٦م)

(١٨) الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن. سنن الدارمي، دارالمغني للنشر والتوزيع (٢٠٠٠م)

(١٩) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح. دارالكتب العلمية بيروت (٢٠٠٨م)

✿ ✿ ✿